قرطاس

▪ أحمد عبد الحسين

ملائكة الرصيف الخائفون

أمس ابتدأت السنة الدراسية.
صباحاً مشهد التلاميذ يتقاطرون أولاداً وبناتاً مع آبائهم أو أمهاتهم يصنع فرحاً نادراً في بغداد اليوم، يجعل كل من يراه يعود طفلاً وفي قلبه خوفُ أول يوم دراسة، وفي خاطره أمل مبهم بأيام مقبلةٍ ستجعل منه ما يريد.
مشيت على طول الشارع المؤدي إلى المدارس مبتسماً للخوف المكتوم في عيون هؤلاء الملائكة، آخرون لم يستطيعوا كتمانه فانفجروا بالبكاء حتى قبل أن يصلوا بوابة السجن المركزيّ الذي سيألفونه بعد أيام ويحبونه فلا يعود سجناً بل سيجدون فيه رحابة عالمهم الذي سيقضون فيه كلّ يوم نصفَ يومهم، نصفَ عمرهم. وسيكبرون ويتمشون يوماً على هذا الشارع ويرون تلاميذ خائفين ويضحكون.
ابني أصبح تلميذاً أمس، قضى ليل أول من أمس خائفاً ، أراد أن يؤجل اليوم الموعود دون جدوى، تمارض، تحجج بأن المدرسة مملة ولا يعرف فيها أحداً، لكننا أفهمناه أن لا رادّ للقضاء والقدر.
مرّت الأمور بسلام، التقى ببعض زملائه الذين كانوا معه في الروضة، شاهد أبناء جيران لنا، وهناك معلمة امتدحته بقولها إنه مهذب وشاطر، لعله كان حزيناً لأنهم لم يعطوه مجالاً ليثبت لهم أنه يعرف كتابة اسمه واسم أبيه واسم العراق. لكنه سيفعل بالتأكيد.
ربما بكى في أول أيامه، ضجر، أو تمنى من قلبه أن الله دمر كل مدارس العالم ولعن مؤسس أول مدرسة، كما فعلنا جميعنا يوماً، لكنه سيدخل في هذه اللعبة التي كلما أتقنها أحبها أكثر، سيكتشف كلّ يوم شيئاً جديداً، سيتشاجر ويلعب إلى أن يتعب، سيعود في بعض الأيام بثياب ممزقة متربة، لكنْ في أعماقه عينٌ باصرةٌ بدأت منذ أمس تتفتح وسترى أبعد مما أسعفه خياله الطفل.
الملائكة السائرون على الرصيف، سيصنعون لي شمساً خاصة كل صباح وأنا ذاهب إلى العمل، بنات بشرائط حمر يتقافزن سيجعلن يومي يبتدئ بالمسرات، صبيان صخّابون سينسونني ولو للحظات أنني في بلد يتكاثر فيه اللصوص والفاسدون وبائعو الوطن بقدر ما يتكاثر فيه الناطقون باسم الفضيلة والعفة والأخلاق في نفاق يصدره لنا الساسة من الفضائيات كل حين، وسيجعلونني أؤمن أن الحياة تنتصر دائماً، بلثغة طفل، أو بوجه بنت صغيرة توجز العذوبة كلها بابتسامة.
الحياة تنتصر بكم أيها السائرون إلى خوف يومكم الأول، أبناءنا الذين بكم وحدكم نأمل أن نصنع وطناً خالياً من وجوه القتلة المجرمين الذين تبيضهم دجاجة العقائد وتفقسهم في هواء المصارف المكيّف.
لكني لسبب ما أشعر بأسى يا أبنائي، إننا لم نترك لكم ما يعينكم على صنع أحلامكم، تركنا لكم وطناً يمزقه الساسة بحراب العقيدة، وطن يحكمه حرامية لا نعرف من أين جاءوا وإلى أين هم بنا سائرون، تركنا لكم بذور صراع لا ينتهي، وطائفية يحرص الساسة الحاكمون على إدامتها.
اكتبوا اسم العراق كل يوم في دفاتركم، ولا تلتفتوا لكلام آبائكم حين يتحدثون بكلام مسموم عن طوائفهم. أدمنوا قراءة وكتابة العراق وحده، وحده، وحده . أرجوكم انقذوا أعماركم من الوحل الذي نحن فيه.

خسرتُ حيّاتي

داعية "شريف" جداً !

سامي العسكري

خضير الخزاعي

العزة من أبرز ما يجب أو ينبغي أن يتصف بها المؤمن ، عزّة النفس ،عزّة الضمير ، ولذلك قال تبارك وتعالى : (العزة للّه ولرسوله والمؤمنين)، والعزة صفاء روحي ،سمو روحي ، ألق روحي ، وفي مقابل العزّة الذلة والصِغر والمهانة ، الشخصية القوية

□غالب حسن الشابندر

من أبرز ما يميزها العزة .... يوما ما ، وفي منطقة الأمين في دمشق الممتحنة ، وكم لدمشق فضل علينا نحن أبناء العراق ، خاصة (الإسلاميين) كنت واقفا ، فاجأني (أحد الدعاة !) بسؤال غريب ، أخي أين أنت ؟ أفتش عنك في السماء وجدتك في الأرض ... السؤال فاجأني حقيقة ، إذ لم يمض على رؤيتي هذا الداعية (الشريف جدا) أكثر من يومين ، ثم لم تكن لي علاقة قوية به ، بل كنت أمتعض عندما أراه ، بل أحاول الهروب عن ملاقاته ! قلتُ : خير أخي تفضل ! قال : عندي شغل معك في غاية الأهمية ، يخص الدعوة ، الدعوة ؟ قلتُ ، قال : نعم ، الدعوة يا أخي ... ما هو هذا (الشغل)الذي كان في جعبة هذا الداعية (الشريف جدا) ؟ تعرف فلان : هكذا قال ! ضحكت ضحكة بسيطة ، لأن (فلان) من أنبغ الدعاة كان ، وله منزلة فكرية وأدبية عندي ، وهو كذلك عند وسط الدعاة في سوريا ، ثم إن (فلان) ممن لم يعتش على الدعوة، ولم يشترط بيتا في المزة كما اشترط الأستاذ خضير الخزاعي ، بل كان يتنقل بين الأمكنة شبه المهجورة ... فلان كان لقبه (المهاجر) واليوم لقبه (المهاجر أبدا) ... وهو كذلك ... لا أطيل ! ما هو الشغل ؟ قال ما معناه: إن (فلان) جاسوس روسي على حزب الدعوة! صُعقت ! كانت صدمة بالنسبة لي كادت تودي بحياتي ، ليس لأن (هذا الداعية الشريف جدا) صادق بكلامه ،بل للجرأة الوقحة ، إن كلامه هذا رسم في ذهني مباشرة صورة للانحطاط الأخلاقي الذي يسود بعض العلاقات داخل العمل الإسلامي . لم أجبه ... سرحتُ .... قلت له كيف يا أخي ؟ قال : لأنه يدرس اللغة الروسية في المعهد الروسي ..... توجهت فورا لأخ عزيز يشتغل مهنة التصوير، في سوريا ، داعية متفان حقا وهو من أنبل الناس، أخبرته بالحادثة ،أصيب مثلي بالذهول . هذا الداعية (الشريف جدا) يعرفه الدعاة ، كان في غاية المهانة الشخصية ، يلعق كعب حذاء المسؤول الكبير في الحزب ،غريب في كيفية التملق والتذلل بين يدي المسؤول الحزبي ، وكان لسانا ذربا في الدفاع عن المسؤول الكبير، والحق كان يتمتع بشيء من اللباقة الكلامية والخطابية ، ولذلك كان خطيب الحزب في المناسبات ... هذا المتملق كان يجد حضنا لدى المسؤول الكبير ، لأنه بوق ، ولأنه لا يتوانى من اتهام أي شخص بالجاسوسية والعمالة والكفر ... كان يتملق الأستاذ عبد الزهرة البندر إلى حد التصاغر الصفري ، لأن أبا نبوغ كان مسؤول الحزب هناك ، وكان في غاية المهارة في استغلال الأذلاء ، يختارهم بدقة متناهية ، وفيما تغيَّر المسؤول لعب ذات اللعبة ، لا يوجد داعية لا يعرفه اسما ورسما وعملا ومشاكل ، ولكن كان في حماية المسؤول طبعا ، لأن الإسلام يوصي بحماية (المتملقين). تدور الأيام ، وإذا بداعية حقا شريف يطرق بابي . وكنت أعيش في قبو أنا وأطفالي الأربعة يتكون من حجرة واحدة مدة ثلاث سنوات ،أي تماما كالقصرالذي كان يعيش فيه خضير الخزاعي في شمال طهران. كان مذعورا حقا ... قلتُ : خير أبا فلان ؟ قال : (ماذا أقول لك) ؟ فلان. ـ ،وفلان هو ذات الداعية الشريف جدا ـ يتهمك بأنك عميل أمريكي ، بل أنت من السي آي أي! كان يرتجف ، ما هي حجة هذا الداعية الشريف جدا ؟ لأن غالب الشابندر لم يخطىء في توقعاته السياسية، فلابد من أن تكون معلوماته من المخابرات الأمريكية ! هذا الداعية الشريف جدا الذي جمع مالاً كثيراً ، كثيراً ، والذي راح ينتقل من حضن كبير إلى حضن كبير ، كان آخر حضن لجأ إليه هو حضن الدكتور السيد إبراهيم الجعفري للأسف الشديد ، وأجزم أن الدكتور لا يعرفه حقا ... وإلاّ ليس من المعقول أن يمثله في غيابه في احتفالات مهمة ومسؤولة ، وربما (لا أدري) في اجتماعات مصيرية ! ترى كيف تولدت قناعات لدى هذا الداعية الشريف جدا بالتهمة التي ألصقها بي أنا المسكين ؟
في حلقة مقبلة نلتقي على هذه المائدة المسمومة واللذيذة جدا ... هذا الداعية الشريف جدا يعرفه الدعاة في جميع أنحاء العالم ، سواء كانوا في سوريا أو لندن ، ينتسب إلى الكاظمية، ويحتفل في بيته بمناسبة وفاة موسى الكاظم عليه السلام ، والكاظم بريء منه ... ولم تنته القصة بحقه ، هناك تتمة بل تتمات.

×××××

معسكر الأهـواز . قصة لم تأت بعد

لستُ وحدي أنا الذي خسرتُ حياتي ببركة هؤلاء ، بل المئات ، الآلاف ، راحوا هدرا ، شُنقوا ، وقد نسج (المؤمنون) في ما بعد ، من حبال مقاصلهم بيوتا من خيوط ذهبية، تلمع على ضفاف نهر دجلة المتخوم بجثثهم الطاهرة ، رُميت خلسةً بعد وجبة إعدامات سريَّة في سجون الطاغية ، مساء كل يوم، يخرج صاحبنا يتأمل خيوط الشمس تسحب أنفاسها بهدوء ، لتغادرنا على أمل يوم جديد ، وما هو بجديد سوى بعين صاحبنا النوعي ، فيما تفتش أم شهيد عن قطعة قماش مرمية في قمامته الغنية ، تستر فيها سفاحها على يديه (المجاهدتين) قبل غيره ! معسكر الأهواز .... وما أدراك ما معسكر الأهواز ! كان الفرن الذي صهر مئات الجثث الطاهرة ، أمَّا الرؤوس ، فقد كانت تتلذذ بماء شمال طهران ، زلالا ، وفواكه تجريش تثير شهوة الجدار الأصم ... ما هي القصة يا صاح ؟ تأتي في ما بعد يا صاح ! ومن الألم يسقط دمعٌ فيه ألم يا صاح ، أي والله ... هل انتهت قصة ذاك الداعية (الشريف جدا) ؟ كنت ألقي محاضرات إسلامية سياسية في قبو حزب ا لدعوة في سوريا ، كنت . ولأني ساذج ربما . أتفانى في التحضير ، لأنها -كما كنت أتصور- وربما ما أزال إنها مسوؤلية فكر وضمير ، ولا أريد أن أمدح محاضراتي ، ذلك متروك للتاريخ ولمن كان يحضر ، وفي إحدى المحاضرات قلت ما معناه : يبدو أن منطقة الشرق الأوسط ستشهد ثورة خبز ، واستشهدت على ذلك ببعض المعالم ، وسواء كان استنتاجي صحيحا أم خطأ ، قامت قيامة (المؤمنين) ، فهذا فكر ماركسي ، مشبوه ، ودخل بعضهم معي بحوار خارج المحاضرة، وكان حورا مضحكا للغاية ، لأن الأصحاب لم يفقهوا شيئا لا من المحاضرة ولا من الفكر الماركسي ! صدر فرمان سري بحرماني من إلقاء المحاضرات ، وليس في ذلك ما يهمني ، ولا يؤلمني ، ولكن المصادفة الغريبة، بعد أسبوع من هذه المحاضرة خرجت جموع هائلة في تونس ، ثائرة ضد الحكومة، وكان عنوان المظاهرة هو (من أجل الخبز)!! وتشاء الصدف وأنا راجع لبيتي بعد زيارة لمكتبة النوري بحثا عن كتاب ، أنْ يلتقيني ذاك الداعية (الشريف جدا) ، ومن غرائب الصدف أن يكون هذا (الداعية الشريف جدا) يحمل ربطة خبز !! ماذا قال؟ أبو عمار ـ وهو يشير بيده إلى ربطة الخبز . ثورة الخبز ، ها ، ثورة الخبز ، قالها بشيء من الاستهزاء والخبث ، عجيب أمر هذا الداعية . قلتُ : كان هذا الداعية البوق يلعق كعب عبد الزهرة البندر ، ومن ثم كعب من جاء بعد عبد الزهرة البندر ، واليوم ، يمكنكم أن تجدوا اسمه منقوشا على كعب الدكتور إبراهيم الجعفري ... ليس عيبا أن لا يجد كثير من الدعاة الشرفاء اليوم قوت يومهم ، فقد يكون قدرا ،ولكن من الظلم أن يتمتع مثل هذا الداعية (الشريف جدا) بكل ميزات الحياة الهانئة ، الثرية ، الغنية، الناعمة ! وليس عيبا أن لا يجد من أعطى أكثر من شهيد ما يسد به رمقه ، فقد يكون قدرا ، ولكن من الظلم أن تتمخض مسيرة الحركة الإسلامية بعد كل هذه الدماء ، عن تسيِّد مثل هذا المتملق ، لاعق كعوب الكبار .. كنت في ندوة تلفزيونية على قناة الفرات ، عن استشهاد السيد محمد باقر الحكيم رحمه الله ، وفيما سألني المخرج عن الآثار التي ترتبت على هذا الاستشهاد قلتُ له وبكل صراحة : لا شيء ! صُعِق الرجل ... أكملت قولي : إن دماء محمد باقر الحكيم ، ودماء الشهيد محمد صادق الصدر ، ودماء محمد باقر الصدر لم تثمر شيئا ، أبدا ، وكذلك دماء كل الشهداء الأبرار ، إنها دماء جافة ، لم تثمر ، لأنها لم تجد البيئة الطاهرة ، الدماء وحدها لا تثمر ، تحتاج إلى بيئة طاهرة ، ثم أقول لك : أين هي الثمار ، وكنت أقول مع نفسي في الأثناء ، إن من ثمار هذه الدماء أن يتسيد علينا أمثال هذا الداعية (الشريف جدا) ، وإن من ثمار هذه الدماء ، أنْ لا يكتفي الداعية بأن يكون نائبا في البرلمان بل إضافة إلى ذلك يأتي بابنة أخيه لتكون نائبة أيضا ، ومن ثمار هذه الدماء ، أن تتحول أسرة الداعية إلى أسرة عثمانية ، فيما كانوا يعلموننا بأنها أسرة أبي ذريّة . كثيرا ما أقول لنفسي : هل كنت ساذجا لهذا الحد ؟ نعم ! كنت ساذجا ، وإلا كيف يخدعني سامي العسكري ؟ كيف خدعني ؟ هناك أكثر من تتمة سوف تأتي.

أمّـــــــــة فـــــــي خـــطـــر

□مزهر جاسم الساعدي

في عام ١٩٨٠ أعلن القائمون على المشروع التربوي في أمريكا عن الخطر الذي يداهم مستقبل التربية في بلادهم وقالوا بشكل صريح إننا (أمة في خطر) ،وما يحسب لهذه الصرخة أنها كانت كاشفة عن نظرة مستقبلية لمسار العملية التربوية فضلا عن الشجاعة التي تمتع بها من تحدث عن هذه الحقيقة باعتبارها جاءت في وقت تعد فيه المدارس الأمريكية أنموذجا للتقدم الذي تطمح العديد من الدول للوصول إلى المعايير التربوية المتبعة فيها.لهذا بدأت الجهات المختصة من داخل وخارج المؤسسة التربوية مشروع المراجعة العامة ووضعت المعايير التي تتناسب والمرحلة المقبلة من حياة الأمريكيين ،وقد نجحت في ذلك لأنها انطلقت من تشخيص علمي دقيق ابتعد عن التبرير ومقولات المنجز المزعوم والموهوم.
كل الدول التي تتطلع إلى مستقبل أفضل لأبنائها تفعل ذلك ،وليس في أمريكا وحدها ،لا تتردد في مراجعة مشروعها التربوي وبيان أخطائه والهفوات التي وقع فيها حرصا منها على بناء عقلية الطفل باعتباره الباني لذلك المستقبل بما يتناسب ويتلاءم وتنمية قدراته ومهاراته . وإذا لم تتوافر على الخبرات والقدرات والكفاءات للقيام بتلك المهمة فإنها لا تتردد في استقدام المختصين والاستعانة بهم كي تمضي عملية المراجعة بشكلها الحقيقي المطلوب.
إنها تفعل ذلك بشجاعة سوى في العراق، فإننا دوما نصرح بالتقدم والنمو الحاصل في القطاع التربوي وان كل سنة تمر هي أفضل من السنة التي سبقتها وكأن المسؤول العراقي قد برمج لغته على هذا الادعاء ، بل انه يذهب بعيدا حين يعدد في كل سنة المنجزات التي تحققت على يديه ولا يدري أن الأمور تتجه نحو الكارثة .
إن جميع المؤشرات والمعطيات على الأرض تدل على ذلك ،فالهرم التقليدي لأولويات الوزارة ما يزال من دون تغيير فإنه قائم منذ أكثر من نصف قرن على الابتداء بالمدينة ومن ثم المناطق البعيدة وبعدها تأتي المناطق النائية ، وكأن حق التعليم في المدينة مقدم على حق التعليم في القرى والأرياف بل هو الأصل في عمل الوزارة ، وبذلك فإن التربية في العراق أسهمت وتسهم الآن من حيث تدري أو لا تدري في تعطيل عملية بناء مجتمع الدولة فضلا عن الزيادة الملحوظة للفوارق الثقافية والمعرفية لأجيال مضت وأجيال قادمة.
لقد عمدت التربية في العراق على بناء أنواع مختلفة وغير متجانسة من الثقافات طبعت علاقة أبنائه عبر قرون ومازالت.
لا أدري أي تقدم يدعيه القائمون على المشروع التربوي في العراق وهم يعلمون أن تلاميذ المناطق النائية لن يتخطوا المرحلة الابتدائية إلا بشق الأنفس وان عدد المدارس بالدوام الثلاثي ازداد أضعافا مضاعفة نتيجة السياسة الخاطئة وغير المدروسة لعمليات الهدم المستمر للبنايات المدرسية من دون تعويض بداعي القدم ،والمعروف في الأوساط التربوية أن الدوام الثلاثي لا يشبع فضول التلميذ في الجوانب الحركية والجوانب العلمية فضلا عن الجوانب التربوية.والغريب أن الوزارة تعامل تلاميذ وطلبة المدارس الثلاثية والمدارس النائية بذات المعايير التي تتعامل بها مع المدارس ذات الدوام الأحادي من حيث معدلات النجاح في حال تنافسهم للقبول في مدارس المتميزين أو الجامعات العراقية.

أول يوم دراسة

إن الهُجنة الواضحة في الموضوعات المبثوثة في ثنايا الكتاب المدرسي أثبتت للمختصين أنها السبب الرئيس لمظاهر الفساد السياسي والاجتماعي ،بكونها لا تحمل هما عراقيا يتعلم منه التلميذ الانتماء لوطنه وهويته ، فليس من الغريب أن تجد في أحد كتب القراءة للمرحلة الابتدائية أربع قصائد لشاعر عربي واحد من دون ذكر لشاعر عراقي بأقل من ذلك العدد ، .وأن كتب القراءة للمرحلة الابتدائية بصفوفها الست تخلو موضوعاتها من تعليم التلميذ على مفهوم التسامح وكيفية ممارسته وإشاعته سلوكا باعتباره قيمة عليا تجعل المجتمع أكثر تماسكا وأكثر تصالحا مع نفسه ،فإنها في جميع موضوعاتها خلت من هذه المفردة ولم ترد سوى مرة واحدة في كتاب الصف الخامس ،فضلا عن ذلك فإن البعد الزمني المفضل في هذا الكتاب يشير إلى أن الماضي هو المسيطر بنسب مرتفعة على الحاضر والمستقبل، فقد بلغت نسبته ٦٨،٩٦٪ .أما في الصف السادس فقد بلغت نسبته ٧٥٪. والأغرب إننا مازلنا إلى يومنا هذا نمارس في بعض مناطقنا تدريس بعض المواد بطريقتين ،الأولى للامتحان والثانية لتركيز المعلومة في ذهن التلميذ والطالب كما في مادتي التاريخ والإسلامية.
أليست هذه القيم التي يتربى عليها التلميذ في المدرسة الابتدائية هي التي تتحكم بسلوكه وهو مسؤول في الدولة ،لذلك تراه يجترّ منجزات أجداده العظماء من دون أن يفعل مثلهم ؟
لا أدري عن أي تقدم تتحدث الوزارة وأن مدارس الأرياف في العهد الملكي كانت مشمولة بكسوة الشتاء وبالتغذية الصحية وأن مدارسنا مازالت تصمم بخمسة أو ستة مقاعد صحية لتستوعب مئات التلاميذ لقضاء حاجتهم أثناء الاستراحة بين الدروس.فضلا عن نسيان التغذية وعدم التفكير فيها.و أن كبار مسؤوليها يحنون إلى بنايات الثانويات والمدارس الابتدائية التي بنيت قبل أكثر من نصف قرن ،بل أنهم يسهبون في وصف مزاياها ويثنون على من شيدها وكيف كانوا يمارسون الرياضة في ساحاتها ويتبارون في خطبهم وقصائدهم ومعارضهم الفنية على مسارحها وقاعاتها .
هل فكرت الوزارة بإجراء بحث ميداني يكشف عن مدى فهم المعلمين والمدرسين للفلسفة والأهداف التربوية العراقية إن كانت موجودة فعلا،لترى حجم المأزق الذي يمرون به وهم لا يعرفون عنها شيئا لكنهم يؤدون وظيفتهم على وفق اجتهادهم ،وهل قامت الوزارة عبر مؤسساتها المختلفة بندوات ومحاضرات ومؤتمرات ومطبوعات تعرف بالفلسفة التربوية للعراق؟
هل قامت الوزارة عبر مؤسساتها المختلفة بندوات ومحاضرات ومؤتمرات ومطبوعات تعرّف بالأهداف التربوية للعراق؟
أعلم ما سيرد به المسؤول ،فكل شيء مبرر عنده ،ولأنه كذلك فإن الأيام القادمة ستنذر بالمزيد من التدهور.وإذا ما أردنا إيقافه ،فما الضير أن نؤجل الدراسة لسنة واحدة تكمل فيها الوزارة إنضاج فلسفتها وأهدافها التربوية وسجونها التي تسمى أبنية مدرسية وتراجع فيها مناهجها وتعد معلميها ومدرسيها إعدادا يستغني معه التلميذ والطالب عن المدرس الخصوصي في مراكز المدن ويجد ابن القرى من يعلمه القراءة والعلوم في مدرسته .
هل تنقصنا الشجاعة لنقول إننا أمة في خطر؟!